جامعة البصرة

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم علوم القرآن الكريم

المرحلة **الثانية**

السيرة النبوية

الدكتور : أحمد فرج

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نتوقع غياب الحق ، لأن ضمانة بقائه ذهبت ، فأي مبرر يبقى لوجوده ، وبقائه ؟ ! .

بل ربما يكون وجوده وبقاؤه مثاراً للأحقاد والإحن التي ربما يتولد عنها الظلم والطغيان في أبشع صوره وأخزاها ، وأسوأ حالاته وأقصاها .

الثاني : المؤاساة : فهذه الأخوة إذاً ، ليست مجرد توهج عاطفة ، أو شعور نفسي ، وإنما هي أخوة مسؤولة ومنتجة ، تترتب عليها آثار عملية بالفعل ، يحس الإنسان فعلاً بجدواها وبفعاليتها ، تماماً كالأخوة التي في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ .

حيث جعل مسؤولية الصلح بين المؤمنين متفرعة وناشئة عن الأخوة الإيمانية ، وإذا كانت أخوة خيرة ومنتجة ، فمن الطبيعي أن تبقى ، وأن تستمر ، ومن الطبيعي أيضاً أن يستمر الاحتفاظ بها ، والحفاظ عليها إلى أبعد مدى ممكن ، وقد كانت لهذه المؤاخاة نتائج هامة في تاريخ النضال والجهاد .

****

وثيقة المدينة :

أسس العلاقات في المجتمع الجديد :

يذكر المؤرخون : أنه بعد مدة وجيزة من قدومه « صلى الله عليه وآله » المدينة ، وعلى رأي البعض : بعد خمسة أشهر كتب « صلى الله عليه وآله » كتاباً أو وثيقة بينه وبين اليهود ، أقرهم فيها على دينهم وأموالهم ، واشترط عليهم : أن لا يعينوا عليه أحداً ، وإن دهم أمر فعليهم النصر ، كما أن على المسلمين ذلك في المقابل .

ولكن سرعان ما نقض اليهود العهد ، وعادوا إلى المكر والغدر ، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله .

ويلاحظ : أن الوثيقة المشار إليها لم تقتصر على تنظيم علاقات المسلمين مع غيرهم ، وإنما تعرض جانب كبير – بل هو الجانب الأكبر – منها إلى تقرير قواعد كلية ، وأسس عملية للعلاقات بين المسلمين أنفسهم ، كان لا بد منها لتلافي الأخطاء المحتملة قبل أن تقع .

فهذه الوثيقة بمثابة دستور عمل ، يتضمن أسس العلاقات في الدولة الناشئة ، سواء في الداخل أم في الخارج .

وهذه الوثيقة عبارة عن عقد ينظم العلاقة فيما بين المهاجرين والأنصار من جهة ، وبينهم وبين اليهود من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جهة أخرى .

وهذه الوثيقة هي بحق من أهم الوثائق القانونية ، التي لا بد أن يدرسها علماء القانون والتشريع بدقة متناهية ، لاستخلاص الدلائل والأحكام منها ، وأيضاً لمعرفة الغايات التي يرمي إليها الإسلام ، والضوابط التي يرتضيها ، ومقارنتها بغيرها مما يتهالك المستضعفون – فكرياً – من هذه الأمة عليه ، من القوانين القاصرة عن تلبية الحاجات الفطرية وغيرها للإنسان .

نص الوثيقة :

قال ابن إسحاق : وكتب رسول الله « صلى الله عليه وآله » كتاباً بين المهاجرين والأنصار ، وادع فيه يهود وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم ، وشرط لهم ، واشترط عليهم .

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد النبي « صلى الله عليه وآله » بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ، ومن تبعهم ؛ فلحق بهم ، وجاهد معهم ، إنهم أمة واحدة من دون الناس ... ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر ، ولا ينصر كافراً على مؤمن ... وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس ...وإن من تبعنا من اليهود ؛ فإن له النصر والأسوة ، غير مظلومين ، ولا متناصرين عليهم ... وإنه لا يجير مشرك مالاً لقريش ، ولا نفساً ، ولا يحول دونه على مؤمن ...وإنكم مهما اختلفتم في شيء ؛ فإن مرده إلى الله عز وجل ، وإلى محمد « صلى الله عليه وآله » .

وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم ... وإن الجار كالنفس ، غير مضارٍ ولا آثم ، وإنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها ...وإن ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده ، فإن مرده إلى الله عز وجل ، وإلى محمد « صلى الله عليه وآله » ، وإن الله على أتقى ما في هذا الصحيفة وأبره ...وإنه من خرج آمن ، ومن قعد آمن بالمدينة ، إلا من ظلم وأثم ، وإن الله جار لمن بر واتقى ، ومحمد رسول الله « صلى الله عليه وآله » (تمت الوثيقة) » .

أهمية الوثيقة :

١ – إنها قد قررت : أن المسلمين أمة واحدة ، رغم اختلاف قبائلهم وانتماءاتهم ، وتفاوت مستوياتهم ، وحجم ونوع طموحاتهم ، ورغم اختلاف حالاتهم المعيشية ، والاجتماعية ، وغير ذلك .

ولهذا القرار أبعاده السياسية ، وله آثاره الحقوقية ، وغيرها ، ثم له آثار وانعكاسات على التكوين السياسي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

، والاجتماعي ، وعلى الحالة النفسية ، والعاطفية ، والفكرية ، والمعيشية ، والحياتية بصورة عامة .

٢ – لقد قررت الوثيقة أيضاً : أن من كان عليه دين ، ولم يكن له عشيرة تعينه في فداء أسيره ، فعلى المسلمين إعانته في فداء ذلك الأسير .

٣ – وجاء في الوثيقة أيضاً : أن مسؤولية دفع الظلم تقع على عاتق الجميع ، ولا تختص بمن وقع عليه الظلم .

٤ – وجاء فيها أيضاً قرار بإلغاء القبلية التي توجب على القبيلة الانتصار لأبنائها ، حتى ولو كانوا

المعتدين على غيرهم ، والظالمين لهم ، حيث تقرر أن على جميع المؤمنين أن يلاحقوا القاتل ، من كان ، ومهما كان .

٥ – إظهار المسلمين أمام أعدائهم على أنهم قوة واحدة ومتماسكة ومتناصرة ، له أثر كبير في تكريس الهيبة لهم في النفوس ، وإبعاد الأطماع في أن ينفذ نافذ إلى المسلمين من خلال التلاعب بالعواطف القبلية أو سواها .

٦– أن الوثيقة لم تعط للمشركين حقوقاً ، ولكنها فرضت عليهم قيوداً ، فليس للمشرك أن يجير مالاً لقريش ، ولا نفساً ، ولا يحول دونه على مؤمن .

****

تغيير اتجاه القبلة :

جاء في الروايات : أن تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة قد كان بعد معركة بدر عام ٢ هـ ، وفي تفسير القمي : أن ذلك كان بعد الهجرة بسبعة أشهر ، وصحح صاحب تفسير الميزان : أن ذلك كان في رجب ، وقيل : في النصف من شعبان .

وعنه « صلى الله عليه وآله » : إن ذلك قد كان بعد سبعة عشر شهراً ، وقد صُرف إلى الكعبة ، وهو في صلاة العصر ، وكان « صلى الله عليه وآله » حين قدم المدينة يتوجه إلى بيت المقدس ، فصار اليهود يعيرونه ، ويقولون : أنت تابع لنا ، تصلي إلى قبلتنا ، فاغتم رسول الله « صلى الله عليه وآله » من ذلك غماً شديداً ، وكان قد وُعد بتحويل القبلة ، فخرج في جوف الليل يقلب وجهه في السماء ، ينتظر أمر الله تعالى في ذلك ، وأن يكرمه بقبلة تختص به .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فلما أصبح وحضرت صلاة الظهر – وقيل العصر – وكان في مسجد بني سالم ، صلى الظهر بهم ركعتين ؛ فنزل جبرائيل ، فأخذ بعضديه ، فحوله إلى الكعبة ، فاستدارت الصفوف خلفه ؛ فأنزل الله عليه : ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ .

فصلى ركعتين إلى الكعبة ، فقالت اليهود ، الذين شق عليهم ذلك ، والسفهاء ﴿مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ .

ويقال : إن المسجد الذي جرى فيه ذلك سمي بـ » مسجد القبلتين » .

وربما يقال : كيف يغتم « صلى الله عليه وآله » لتعيير اليهود ؟ فإن وجود حكم شرعي موافق لهم ، لا يوجب غمه « صلى الله عليه وآله » ، ولا فعالية تعييرهم إياه ؛ إذ ما أكثر الأحكام التي هي من هذا القبيل ؛ فلماذا اختاروا منها تعييره في موضوع القبلة فقط ؟ ! .

ولو قبلنا : أنهم فعلوا ذلك ، فإنه « صلى الله عليه وآله » إذا كان يعلم أن في هذا الحكم مصلحة ، فإنه يأنس به ، ويرتاح له ، ولا تأخذه في الله لومة لائم ، ولذا فهو لا يغتم لتعيير أحد .

ويمكن الجواب عن ذلك : أنه يمكن أن يكون « صلى الله عليه وآله » يرى : أن ذلك يهيئ الفرصة لأعداء الإسلام لفتنة المؤمنين عن دينهم ، وصد غيرهم عن التوجه إليه ، والدخول فيه ؛ فهو حينئذٍ يغتم ويهتم لذلك ، وينتظر الإذن من الله بتحويل القبلة لتفويت الفرصة على أعدائه ، الذين سوف لن يدعوه وشأنه ، والذين يعيشون في المتناقضات ، فإذا صلى إلى قبلتهم عيروه ، وإذا تحول عنها ، فسيقول السفهاء من الناس : ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ، وهذه هي طبيعة الإنسان الذي لا يرى نفسه مسؤولاً عن مواقفه وحركاته وكلماته ، ولا ينطلق في مواقفه إلا من موقع السفه ، وعدم التثبت .

علة تحويل القبلة :

ذكر مفسرو القرآن الكريم عللاً لتحويل القبلة منها :

١ – في سنوات حضور النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) في مكة المكرمة كانت الكعبة مكاناً للاحتفاظ بأصنام المشركين ، ففي تلك الفترة وبأمر من الله وبصورة مؤقتة اتجه النبي (صلى الله عليه وآله) إلى بيت المقدس كي ينفصل صفوف المسلمين عن المشركين الذين كان جل اهتمامهم إلى الكعبة وعبادة الأوثان .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢ – مع تأسيس الحكومة الإسلامية في المدينة استقام مجتمع المسلمين حدوداً قد تبين صفوف المسلمين عن بقية سكان المدينة تماماً ؛ لذا ما كان من الضرورة الاتجاه نحو بيت المقدس، مما جعل النبي (صلى الله عليه وآله) يتطلع لتحويل القبلة، فحينئذ حوّلت القبلة إلى الكعبة وبيت الله الحرام تلك البقعة التي طالما كانت مركزاً لأنبياء الله ، مع نزول آية القبلة وبأمر من الله قام المسلمون وتوجهوا في صلواتهم إلى الكعبة تمييزاً عن اليهود وقبلتهم بيت المقدس .

٣ – بعد أن هاجر النبي (صلى الله عليه وآله) إلى المدينة قام اليهود باستغلال موقف مسلمين باتخاذهم بيت المقدس قبلة لهم ، وكان اليهود يرون ذلك علامة على النقص في الإسلام وأحقيتهم ، فبناءً على بعض الروايات كان يهود المدينة يدّعون أن المسلمين ما كان لديهم قبلة، بل اليهود هم الذين وجهوهم إلى بيت المقدس .

٤ – من الحكم التي تكمن خلف هذه القضية هي سنة ابتلاء المسلمين ؛ لأنّ من كان مطيعاً ومخلصاً لله في عقيدته تقبّل هذا الأمر دون أي اعتراض ، لكن من كان متزلزلاً في مبادئه، ولم يصل إلى درجة تفويض الأمور إلى الله ضم صوته إلى صوت اليهود المحتجين على تحويل القبلة ، فكانوا يرون من الصعب تقبّل هذه القضية، فهذا الامتحان كان من الاختبارات الإلهيّة الصعبة للمسلمين .

****

سراياه وغزواته (صلّى الله عليه وآله) قبل معركة بدر :

هنا يبدأ المؤرخون بذكر غزواته وسراياه (صلى الله عليه وآله) ، ويقصدون بـ (الغزوة) : الجيش الذي يخرج فيه (صلى الله عليه وآله) بنفسه ، وبـ (السرية) : البعث الذي لا يكون رسول الله « صلى الله عليه وآله » فيه .

وقد اختلفت كلماتهم في عدد غزواته وسراياه اختلافاً كثيراً ، ولا نرى حاجة لإطالة الكلام في تحقيق ذلك .

وصية النبي « صلى الله عليه وآله » للسرايا :

كان « صلى الله عليه وآله » إذا أراد أن يبعث سرية دعاهم ، فأجلسهم بين يديه ، ثم يقول : « سيروا باسم الله ، وبالله ، وفي سبيل الله ، وعلى ملة رسول الله ، ولا تغلوا ولا تمثلوا ، ولا تغدروا ، ولا تقتلوا شيخاً فانياً ، ولا صبياً ، ولا امرأة ، ولا تقطعوا شجراً إلا أن تضطروا إليها ، وأيما رجل من أدنى المسلمين أو أفضلهم نظر إلى رجل من المشركين ، فهو جار ، حتى يسمع كلام الله ؛ فإن تبعكم ، فأخوكم في

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner